Linguistic and Philosophical Investigations
ISSN: 1841-2394, e-ISSN: 2471-0881
Vol 24 (1), 2025
pp. 1288–1297

A critique study in the methodology of the German Orientalist Sigrid Hunke

Dr. Essama mehemli [1*], Dr. Abdelghani nasri [2]

[1:] Djilali Liabes University -Sidi Bel Abbes, Algeria (Algeria), orientalistd@gmail.com
[2:] Mohamed EL Bachir Ibrahimi University Of Bordj Bou Arreridj, Laboratory of contemporary linguistic and literary studies, Algeria, abdelghani.nasri@univ-bba.dz

Abstract:

It is well established that the studies of the German Orientalists on the Arab-Islamic heritage go back to many approaches that differ from one orientalist to another. Hence, through this research, I wanted to investigate the problem of the methodology of the German Orientalist Sigrid Honke in her studies on the Arab-Islamic heritage through her book entitled The Sun of God Shines on the West. -. In this research, we have concluded that German Orientalism relied on the comparative

Keywords:

Methodologies Sigrid Hunke, Arab-Islamic heritage, German Orientalism.

Received: 29 Jan 2025 **Revised:** 09 Feb 2025 **Accepted:** 25 oct 2025

دراسة نقدية في منهجية المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه

د. أسامة مهملي [1]، د. عبد الغاني ناصري [2]

[1:] جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، orientalistd@gmail.com

[2:] جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج، مخبر الدراسات اللغوية والأدبية المعاصرة، الجزائر abdelghani.nasri@univ-bba.dz

الملخّص:

ممَّا هو ثابت أنّ دراسات المستشرقين الألمان للتُّراث العربي الإسلامي تعود إلى مناهج عديدة تختلف من مستشرق لآخر، من هنا أرتأيت من خلال هذا البحث أن أتقصى مشكلة منهجية المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في دراساتها حول التراث العربي الإسلامي من خلال كتابها المعنون "شمس الله تسطع على الغرب"، -بيان مناهج المستشرقين الألمان في تعاملهم مع التراث العربي الإسلامي ثم بيان منهجية زيغريد هونكه، ولقد توصلنا في هذا البحث إلى أن المستشرقة الألمانية

اعتمدت على المنهج المقارن كمنهج أساسي؛ ذلك أنها في جل دراساتها كانت تعمل على مقارنة القضايا الشرقية بالغربية .

الكلمات المفتاحية: مناهج، زيغريد هونكه، تراث عربي إسلامي، استشراق ألماني.

مقدمة:

ممَّا هو ثابت أنّ دراسات المستشرقين الألمان للتُّراث العربي الإسلامي تعود إلى مناهج عديدة تختلف من مستشرق لآخر، ومن حقل معرفي لآخر؛ لذا أجمع الباحثون على أنّه من الصّعب أن نجمع دراسات المستشرقين في بوتقة واحدة ونزعم أنّ منهجهم كان واحدا.

ومهما يكن فقد انطلق هؤلاء المستشرقين في تناولهم للتُّراث العربي الإسلامي من ثقافاتهم الغربية بإسقاطات يراها أكثرهم غير عادلة. يقول **ابراهيم اللّبان:" المستشرقون يدرسون التّراث الإسلامي، ويضعون نظريات، ويكوّنون آراء في أثناء ما يقومـــون به من دراسات ويهتمّون بتقديم أدلّة وأسانيد لهذه الآراء والنّظريات،يستمدُّونها من مراجع تخدُم أهدافهم،وهذا العـمـل في ظاهره عمل علمي سليم،لكن الفحص الدَّقيق أثبت أنَّ كثيرا منه مصنوع وكثيرا ما يكون الدّافع إليه الرَّغبة في تشويه التُّراث الإسلامي وردِّ أصول ذلك إلى مصادر غربية"**[1].

إذن استنادا لما جاء في الفصل السَّابق واعتبارا من هذا القول فإنَّ أغلب المستشرقين اتَّبعوا مناهج مخالفة للموضوعية حتَّى وإن كانت تبدو دراساتهم في إطارها العام منصفة، إلّا أنّها لا تخلوا من الدّسّ و التّشويه ....ومن تلك المناهج الَّتي نهجوها نذكر:

-منهج العكس الَّذي يقوم فيه المستشرق بنقل أوثق الأخبار ثم يقلبها متعمّدا إلى عكسها[2]

لتحقيق غايته،وعن هذا المنهج يمكن أن نقول عنه أنّه يقوم على مبدأ الغاية تبرّر الوسيـلة.

-منهج التأثُّر:طبّق المستشرقـون هذا المنهج على حقول التُّراث الإسلامـي فحكموا بالتَّأثر عند كل متشابه.

-المنهج الإسقاطي:اعتمد المستشرقون على هذا المنهج والَّذي يقوم على إسقاط وقائع على وقائع أخرى حسب هوى المستشرق واعتمادا على خبرته(*).

-منهج الشّك: اعتمد المستشرقون الألمان كثيرا على هذا المنهج الَّذي يقوم على الشّك في الواقعة التَّاريخية ثم نفيها إذا اقتضى الأمر من غير أن يقدّم المستشرق دليلا على ما ذهب إليه، يقابل ذلك افتراض وقائع واستنتاجات. يقول **مونتمجري وات** watt:"إنّ الباحثين الغربيين قد شكّكوا في كل المراجع القديمة حتَّى إنّ بعضهم لم يقبلوا حتَّى القرآن الكريم..."[3].

لم تكن هاته هي المناهج الوحيدة الَّتي اعتمدها المستشرقون الألمان وغيرهم، إذ أنَّ هناك مناهج أخرى اعتمدوها، لكن ممّا هو جدير بالتَّأكيد أنَّ المستشرقة: **زيغريد هونكه** خالفت كل هاته المناهج الَّتي اعتمدها بنو جلدتها، واعتمدت في دراساتها ومباحثها على المنهج التَّاريخي، والمنهج المقارن ومنهج التَّأثير، وقد انصهرت هاته المناهج الَّتي اعتمدتها في منهج واحد ألا وهو: المنهج العلمي الموضوعي الَّذي يهدف إلى البحث عن الحقيقة.

1)أثر المنهج المقارن في دراسات زيغريد هونكه:

قبل تقصِّي المنهج المقارن في دراسات هونكه نلقي نظرة على مفهومه، فالمنهـج المقـارن يُعرَّف على أنّه"منهج يشير إلى إجراءات تهدف إلى توضيح وتصنيف ظواهر معيّنة وتطـوُّرها، كذلك أنماط العلاقة المتبادلة في داخل هاته الظواهر، وذلك بواسطة توضيح التّشابهات والاختلافات التي تبيّنها الظواهر التي تعدّ من نواح مختلفة قابلة للمقارنة"[4]والموازنة.

وعليه بناءً على هاته النّظرة المبنية على طريقة الموازنة العقلية بين المجتمعات في إطار المنهج المقارن جاءت معظم دراسات هونكه في مؤلفاتها مبنية على المقارنة بين عالمين(العالم الغربي، مع العالم العربي الإسلامي) في شتَّى مجالات الحياة.

نسلِّط الضوء أكثر على أعظم منجز لها و هو:

***مؤلف:شمس الله تشرق على الغرب:**

لقد تجلّى أثر المنهج المقارن لدى زيغريد هونكه على مدار دراساتها في مؤلفها هذا والّذي اتَّبعت من خلاله طريقة جديدة في تبويبه،إذ قسّمته إلى سبعة كتب،وكلُّ كتاب من تلك الكتب السّبعة يحمل عنوانا خاصًّا،كما أنّ كلّ كتاب ينقسم إلى فصول،وكلّ فصل يحمل عنوانا يندرج بطبيعة الحال تحت عنوان الكتاب الخاص به،هذا ولقد تناولت في نهاية كلّ كتاب بعض الهوامش توضِّح من خلالها بعض الأعلام،والوقائع التّاريخيـة الّـتي تتطلّب إلى تحليل.

في الكتاب الأوّل المعنون ب:النهار اليومي،ضربت فيه **زيغريد هونكه** العديد من المقارنات نكتفي بذكر نموذج واحد.

لعلَّ أبرز مقارنة أجرتها هونكه في هذا الكتاب لما قارنت حال الغرب الاقتصادي بحال الشّرق،إذ تقول:"والواقع أنّ التِّجارة في البلاد المسيحية (أوروبا)كانت متخلّفة جدّا وقتذاك (900م) مقارنة بالتّجارة الشّرقية...؛لذلك لا عجب إذا رأينا أنوار الحضارة الشّرقية تنير بلاد الغرب من أقصاه إلى أدناه"[5].

أمّا في الكتاب الثّاني والمعنون ب:الكتابة العالمية للأعداد، فقد أسهبت فيه بالمقارنة بين العرب والغرب من حيث المنهجية المعتمدة في كتابة الأعداد لدى كل جنس.تقول "... بينما كان العرب يكتبون أرقامهم على شكل إشارات أخذوها من الهنود،كانت أوروبا تعبّر عن تلك الأرقام بوضع أشياء إلى بعضها البعض"[6].

لم تنقطع هونكه في كتابها الثالث المعنون ب:الأبناء الثّلاثة لموسى الفلكي عن استعمال المنهج المقارن، ففي هذا أيضا تجعل المقارنة في علم الفلك بين المسلمين والأوروبيين متناظرة .

***الرأي الأوّل:**تقول هونكه:"إنَّ اهتمام أوروبا المسيحية بالتأمّل في السّماء ونجومها وكواكبها كان ضعيفا جدّا،بل كان المسيحي الأوروبي إذا نظر إلى السّماء كانت نظرته مشوبة بسوء النّيّة والشّك"[7]أمّا:

***الرأي الثاني:**

تقول **زيغريد هونكه**:"لكنَّ دراسة الفلك ضروريـة،فالله جل جلاله حثَّ الإنسان على التأمّل في السّماء والنّظر إليها..."[8].

من الرّأي الأوّل والرّأي الثّاني للمستشرقة هونكه يتوضّح بصورة جليَّة أثر المنهج المقارن في دراساتها،فلا تكاد تطرق مجالا من مجالات العلوم إلّا وتضرب أوجه التّباين بين الغرب والشّرق؛إذن هكذا كان نهج المستشرقة الألمانية،ليس فقط،فيما تقدّم من كتبها،إنما في سائر كتبها،ويعتبر كتابها الرّابع المعنون ب:الأيادي الشّافية،أكبر دليلٍ نتّكئ عليه في إبراز رأينا هذا؛ ذلك أنّ هونكه جعلت فيه من المقارنات ما لم تجعله في كتاب آخر،ومن ذلك:

2-1)طبيعة الطب بين العرب والغرب:

تنطلق المستشرقة هونكه في سبيل المقارنة بين الطّبّ العربي من الأوروبي من عنوان جعلت منه محطّ استقطاب القُرَّاء،وهو:الشِّفاء العجيب عند الإفرنج،وقد أوردت في هذا الفصل جملة من النُّصوص توضِّح من خلالها خرافات الطِّب الأوروبي،ولتعليل هذا الموقف تربط زيغريد هونكه الطِّب الأوروبي بسلطة الكنيسة ورجال الدِّين،وهي تقول:"وضع اليد،طرد الشَّيطان،صلاة،هذه كانت أحسن أدوية للشّفاء كان يستخدمها الأطبّاء الأوروبيون وهم في أزياء القسّيسين والرّهبان لشّفاء المرضى من أمراضهم الجسدية..."[9].

تستتبع هونكه مباشرة موقفها من الطِّب عند الغرب بالموقف المعاكس بِفَصْلٍ تحت عنوان:

مستشفيات وأطباء لم ير العالم نظيرهم،يَتَوضَّحُ من خلاله الفرق الشّاسع بين أوروبا والعالم الإسلامي،وهنا أدّى منهجها المقارن دورا فعّالا في تبيين التّباين بواسطة تتابع الفصول المعاكسة لبعضها(*).

في الكتاب الخامس المعنون ب:سيوف العقل،تأكَّد أنَّ هونكه لا يمكنها أن تتخلَّى عن اعتماد المنهج المقارن،وقد تجلّى ذلك كما سبق ذكره من خلال اتباعها لطريقة تَتَابع الفصول المتقابلة على سبيل المثال:بعد الفصل المعنون بالمعجزة العربية.مباشرة يليه فصل:أوروبا تائهة في دياجير الظلام،وإن لم تتبع هذه الطّريقة تعود إلى طريقة المقارنة بين النصوص.

هكذا كان الحال بالنّسبة للكتاب السّادس والّذي عنونته: موحَّد الشّرق والغرب، والكتاب السّابع المعنون ب: الفنون العربية الأندلسية.

على كلٍّ نستنتج أنّ هونكه عمدت إلى المقارنة عبر ثلاثة طرق وهي: المقارنة داخل النّص الواحد، مقارنة نص بنص آخر، أو مقارنة فصل بفصل.

2)تجليات منهج التّأثير والتّأثّر في دراسات زيغريد هونكه: على غرار المنهج المقارن، وفي إطار البحث في منهج المستشرقة هونكه، أخذ منهج التأثير والتَّأثر اعتمادا كبيرا في بحوثها سواء بالنّسبة في مؤلّفها شمس الله تسطع على الغرب أم في مؤلّفاتها الأخرى، وباستقرائنا لمواقفها مثلما تقَدَّمَ يظهر أثر منهج التّأثير والتّأثّر بصورة لا تقلُّ عن أثر المنهج المقارن،ومن تجليَّات هذا المنهج في دراساتها:

2-1)التأثّر بالقرآن الكريم:

في تناول **زيغريد هونكه** لمبادئ وأخلاق العرب، ولإثبات سماحة الإسلام مع الشّعوب الأخرى تنطلق من قوله تعالى:**"لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ"**(*)؛ حيث تقول:"...هذا ما أمر به القرآن الكريم وبناءً على ذلك فإنّ العرب لم يفرضوا على الشّعوب المغلوبة الدّخول في الإسلام، ولقد ترك المسلمون لأصحاب الدّيانات الأخرى من مسيحيين ويهود، بيوت عبادتهم وأديرتهم دون أن يمسُّوهم بأدنى أذى[10].

إذن بهذا الاستشهاد القرآني(**)من طرف هونكه والّذي يُفنِّد موقف الغرب المعادي للدّين الإسلامي، يمكن أن نقول: لو أنّ هونكه كان لها شكّ في مصداقية القرآن الكريم ما جعلت منه استشهادا في دراساتها لصالح المسلمين،ولو أنّها تدسُّ بعض المغالطات عنه ما قالت فيه:"...والّذي يؤمن بالإسلام يجب أن يقرأ كلام الله ويرتّله في اللّغة الّتي نزل بها الوحي"[11].

إنَّ هاته النَّظرة العالية الأفق،وهذا التّمجيد من طرف الكاتبة،يحيلنا إلى تأثّر هونكه بكتاب الله تعالى،وليست هاته النَّماذج الّتي معنا هي الوحيدة الّتي توضِّح ذلك التّأثُّر،بل كان الاستشهاد بالقرآن الكريم في شتَّى دراساتها،وهنا نقول:لقد

أكّدت هونكه ما بدأت به لمَّا ذكرت بأن موقف أوروبا من العرب خاصة بنزول الوحي على محمّد صلى الله عليه وسلم موقف عدائي بعيد كل البعد عن الإنصاف والعدالة.

2-2) التأثُّر بالحديث النبوي الشريف:

لم تكن دراسات **زيغريد هونكه** مقتصرة على التأثُّر بالقرآن الكريم فقط،فالحديث النَّبوي الشَّريف لم يُغفَل عن هونكه في رصد مواقفها؛ففي سيَاق الأصل في الحثّ على طلب العلم لدى المسلمين تعود هونكه إلى أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم،إذ ترى أنَّ كلَّ مؤمن رجلا كان أو امرأة إلاّ وأوصاه الرسول صلى الله عليه وسلم بطلب العِلم،وجعل من ذلك واجبا دينيا لقوله صلى الله عليه وسلّم:(طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ).

تقول زيغريد هونكه حول هذا:"هكذا جعل النّبي صلى الله عليه وسلم العلم فريضة دينية...هكذا نجد النَّبي يحرص دائما على توجيه المسلمين إلى العلم فطلب العلم أجره أجر الصّوم،وتعليم العلم يقابل الصَّلاة...فالعلم وطلبه عبادة وجميع المعارف مصدرها الله،وإليه تعود..."[12].

تؤكّد هونكه هذا الموقف في كتابها:التوجّه الأوروبي إلى العرب والإسلام مستشهدة بقول الرَّسول صلى الله عليه وسلم :"لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِئَةُ رَكْعَةٍ"[13].

إنَّ الحقيقة الّتي لا مراء فيها أنّ الإسلام دعا إلى العلم،وحثَّ عليه فرفض الجمود والضّلالات والأوهام،وممّا هو معلوم أنّ بدايات رسالة الإسلام وأوّل نزول لجبريل عليه السّلام على رسول الله صلى الله عليه وسلّم،حيث نزل الوحي أوّل ما نزل بآيات تدعو إلى العلم من قوله تعالى:" **ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ** "[(*)].

من هنا يتبيّن أنّ **زيغريد هونكه** محقّة في مواقفها هاته بما أنّها رجعت إلى الأصل لدى المسلمين في طلب العلم؛مقتبسة من المصدر الثاني من مصادر الشّريعة الإسلامية وهو الحديث النّبوي الشّريف،لكن ما يؤخذ عن هونكه أنّها اعتمدت الأسانيد الضّعيفة من الأحاديث النّبويـة[(**)]،كما أنّها لم تذكر رواة الأحاديـث الّتي وظّفتها،ورغم ذلك،فإنّ هذالا ينقص من جهود هونكه،كما لا ينقص من مدى تأثُّر دراساتها بسنَّة المصطفى محمّد صلى الله عليه وسلّم؛وممّا لا ريب فيه أنّ ذلك التّأثّر هو ما دفعها إلى الدّفاع عن الإسلام والنّبي محمد صلى الله عليه وسلم.

أليست هي القائلة:"...بل من الواجب أن نبرّئ ساحة الإسلام ورسوله وتاريخه من المزاعم والفرى والمعلومات غير الصحيحة"[14]؟!

3)الموضوعية العلمية:

من أجل البحث عن الحقيقة اتّبعت **زيغريد هونكه** من خلال دراساتها،الموضوعية العلمية، كمنهج تكشف به جملة المغالطات في تزييف الحقائق التّاريخية،والعلمية،والدّينية فيما يتعلّق بالشّرق،إذ تقول:"لقد أصرَّ الغرب إصرارا على دفن حقيقة العرب في مقبرة الأحكام التعسُّفية والافتراءات الجماعية دفنا،وأهال عليها ما أهال طمسا منه لمعالمها،على الرّغم من محاولاتنا المعروفة،كما يشهد بذلك كتابنا:شمس الله تسطع على الغرب،وكتابنا:قوافل عربية في رحاب القيصر...ولا يزال القوم يروّجون للخرافات السَّائدة..."[15]حتَّى الآن.

من هذا المنطلق أرادت زيغريد هونكه أن تُفنِّد مزاعم ما ذهب إليه الغرب من مواقف ودراسات،وهذا العمل لهونكه في

حدّ نفسه يمكن أن نعتبره تفنيدا لمناهجهم المخالفة لما هو موضوعي،كما يمكننا أن نعتبره أيضا جهدا من جهود المستشرقين في سبيل تقصِّي الحقائق العلمية؛حقائق أبى الغرب أن يكشف عنها السِّتار؛جاعلا كلّ ما هو حضاري مآله الغرب وعلماؤه،ومن هنا أيضا أرادت هونكه أن تنسب الفضل لأصحابه،وتعود بنا إلى محطّة القرون الوسطى الَّتي كانت مرحلة عظيمة في التّاريخ البشري؛مرحلةٌ أنجز فيها علماء العرب والمسلمين حضارة لمعت بنورها على كل أقطار العالم،هذا في الوقت الّذي ساد في أوروبا الجهل والظّلام والأمّية كما ذكرت ذلك المستشرقة هونكه،وكما يتّفق عليه بعض مؤرّخي الحضارة الإنسانية من الغرب أنفسهم.

4)الشمولية:

تعرّفنا في المبحثين السّابقين على مجموعة مِنَ المواقف للمستشرقة هونكه،وقد توصّلنا من خلال مواقفها تلك إلى أنّ دراساتها كانت شاملة لجميع المجالات،العلمية منها،والأدبية،فمِّما هو مؤكّد أنَّ دراستِها لعدّة تخصّصات هو ما عكس شمولية إنتاجها المعرفي،فالمتأمّل لأعمال **زيغريد هونكه** يجد نفسه ينتقل بين حقول معرفية عديدة تُضفي على المؤلّفة صفة الموسوعية،هذا ولا يفوتنا أن نذكرَ أن مؤلّفها الشّهير:شمس الله تسطع على الغرب يُعدُّ أنموذجا شاملا لدراساتها على اعتبار أن أغلب مباحثها بخلاف شمس الله تسطع على الغرب هي تفصيلات له.

أمّا بالنّسبة للمجال الدّيني فقد يظهر للباحث أنّ هونكه أهملت هذا الحقل،لكن الواقع غير ذلك؛إذ يتضح جليا وبقسط أوفر لما تناولت هونكه مسائل دينية إسلامية في كتابها:الله ليس كمثله شيء،ومما تناولته من ذلك:

- "انتشار الإسلام هل كان بالنّار والسّيف؟

-إسلام منافس للكنيسة "[16].

-هل يضطهد الإسلام المرأة؟"[17]؛إذن هاته نماذج قليلة لهونكه توضح اعتنائها بالجانب الديني في دراساتها،ولعلّ المتأمِّل لعناوين مؤلفاتها يمكنه أن يقتفي أَثَر حقل الدّين الإسلامي في مباحثها

بتوظيفها للمصطلحات الإسلامية في عناوين مؤلفاتها الّتي نذكر منها:كتابها المعنون:التّوجّه الأوروبي إلى العرب والإسلام.

5)الجرأة في الحكم:

لازمت مواقف المستشرقة الألمانية **زيغريد هونكه** جرأة في أحكامها سواءً ما تعلَّق بالإسلام أم تراث المسلمين،ولعلَّ أعظمَ شهادةٍ أَدْلت بها لما قالت:"إنَّ الإسلام هو ولا شك أعظم ديانة على وجه الأرض سماحة وإنصافا،نقولها بلا تحيّز،و دون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطّخه بالسّواد،إذا ما نحينا المغالطات التّاريخية الآثمة في حقّه والجهل البحت به؛وإنّ علينا أن نتقبّل هذا الشّريك والصّديق مع ضمان حقّه في أن يكون كما هو"[18].

من هاته الشّهادة وأُخَر،والّتي توضِّح لنا إنصافها للإسلام من جهة،وتوضّح جرأتها في حكمها من جهة أخرى يرى أغلب الباحثين أنَّ هونكه كانت في دراساتها لا تتوانى في إطلاق أحكامها في سبيل الحق حتّى ولو كانت معادية للغرب المسيحي؛بل حتّى ولو كانت معادية للتّراث الألماني نفسه.يقول **محمد حمدي زقزوق**:"...لقد رأت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه المعروفة في العالم العربي بكتابها:شمس الله تسطع على الغرب،بجرأة في أحكامها أن تشارك في الكشف عن الكثير من الأحكام المغلوطة حول الإسلام والمسلمين في الغرب[19]،فلقد أثبتت بقدرتها العلمية وجرأتها الأدبية نتائج مهمّة في تاريخ التراث البشري،وممّا لا ريب فيه أنّ شجاعتها وجرأتها في تقرير أحكامها المبنية بناءً علميا محكما ساعدها على بلوغ مرتبة علمية

رفيعة لدى المسلمين خاصّة،ولدى أصحاب المنهج العلمي الموضوعي عامة.

لكن رغم كُلِّ هذا وكلِّ ما قيل في حقِّ هونكه من إشادة ومدح جرّاء جرأة مواقفها وأحكامها العلمية إلاّ أنّ **لمالك بن نبي**(1905م،1973م)رأي آخر،فقد"اتّهم المستشرقة **زيغريد هونكه** في كتابه:إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث،أنّها لم تكن مواقفها الّتي أنصفت الإسلام بداعي البحث العلمي؛إنّما لأجل تخدير المسلمين،وعدم التّفكير في الحاضر والنّهوض من السّبات العميق الّذي مُنِي به المسلمون[20]،وأكثر من هذا وفي ضوء ما قدّمته هونكه من مواقف وجرأة في أحكامها من خلال كتابها شمس الله تسطع على الغرب إلّا أنَّه التفت عن ذلك واصفا كتابها هذا بالمنتحل باسمها،إذ يقول:"ولذا بِنَا نَرَى الدَّعْوة توجّه إلى تلك السّيّدة الألمانية المقرّبة الّتي وضعت أو وُضِع اسمها على ذلك الكتاب ذي العنوان الجذّاب:شمس الله تسطع على الغرب،وفيه ما فيه من مدح وتمجيد للحضارة الإنسانية"[21].

أرى أنّ مالك بن نبي صاحب نظرة سوداوية للغرب،فهو يرى بصفة عامة أنّ طبقة المستشرقين المادحين للإسلام كانت بحوثهم لخدمة مجتمعاتهم الغربية،بمن فيهم زيغريد هونكه،

وعلى أيّة حال فإن مالك بن نبي لا يملك دليلا يثبت موقفه من المستشرقة الألمانية،ولو صَحَّ ما ذهب إليه مالك لاتّضح ذلك جليّا لدى نقّاد الاستشراق،ونضيف لو كان كما ادعى مالك مِن أنَّ شمس الله تسطع على الغرب ليس لها ما ألحقت المؤلفة دراساتها بمؤلف:الله ليس كما يعلمون،ومؤلّف:التّوجّه الأوروبي إلى العرب والإسلام؛وفي هذا في حدّ ذاته جرأة وشجاعة علمية انفردت بها،غضّ مالك النّظر عن ذلك.

6)التعمُّق والتوسّع في البحث:

يجدر بنا في إطار العمل من أجل إبراز منهجية المستشرقة **زيغريد هونكه** أن نتوقّف عند نقطة مهمّة تُضاف إلى سجِّل قيَم المؤلفة ومكانتها العلمية،ألا وهي:أنّه كلّما غُصْنَا في دراستنا لمباحث المستشرقة سواء في مؤلفها الشهير شمس الله تسطع على الغرب أم غيره من أعمالها،إلّا ولمسنا ذلك التّوسّع والتّعمّق في الأفكار والمعاني.

وإنّ نموذجا(*)واحدا يبيّن لنا تعمّقها في دراساتها،ولعل أفضل نموذج لذلك لمّا رجعت بنا المستشرقة زيغريد هونكه إلى أصل بعض المصطلحات الّتي باتت متداولة في أوروبا على أساس أنها مستقاة من الحضارة الغربية الأوروبية،لكن الحقيقة غير ذلك كما بيّنت هونكه-وهذا في الواقع إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على تعمّقها وتوسّعها في بحثها- ومن تلك المصطلحات نذكر بعضا منها :"**الكحول** ويقابلها بالألماني: **Alkhol**،ومصطلح **المَناخ** ويقابلها:

Almanach،**الخيمياء** ويقابلها:**Alchemie**،**الجبر** وأصبحت عندهم: **Algebra**،**القهوة** ويقابلها: **Caffee**، **شعر الغزل** ويقابلها: **Gazel**،**فقير** ويقابلها: **Fakir**،**قصيدة** وأخذوها باسم:**Kasside**،مصطلح **قُطْن Koton**...وغيرها من المصطلحات"[22].

إنّ هاته المصطلحات الغربية والّتي يعود أصلها إلى التّراث العربي الإسلامي كما أوردت ذلك زيغريد هونكه لدليل قويٌّ يبيّن تعمّق المستشرقة في دراساتها،ونضيف:إنَّ هاته النتائج المتوصَّل إليها من طرف الباحثة تنمّ عن اطِّلاع واسع وبحث عميق.

7)طبيعة المصادروالمراجع للمستشرقة زيغريد هونكه:

أراد بعض الباحثين الانتقاص من شأن المستشرقة زيغريد هونكه،فانطلقوا من موقف مالك بن نبي لمَّا اعتبر المؤلفة أداة لتخدير الأمّة العربية والإسلامية كما سبق ذكره؛فجعلوا يبحثون عن الذّرائع الّتي تؤدي بهم إلى صحّة مواقفهم؛ومّما تذرّعوا به:أنّ هونكه تفتقد في أعمالها للمصادر والمراجع العربية في دراساتها.

من هنا أردنا أن نكشف على بعض المراجع العربية الّتي اعتمدتها المؤلّفة في مؤلّفها الشهير:شمس العرب تسطع على الغرب،وربّما نكون من هنا قد أزحنا بعض الشّيء من تلك الرّؤية السّوداء الّتي يراها بعضهم في المستشرقة هونكه،وفي الوقت نفسه نكون أيضا قد كشفنا عن شيء قليل من منهجية المستشرقة هونكه انطلاقا من توضيح المؤلّفات العربية الّتي اعتمدتها في كتابها السّالف الذِّكر، فمِن المراجع العربية الّتي اعتمدتها الباحثة:

كتاب:الفهرست لمؤلّفه: ابن النّديم، وكتاب: عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء لابن أبي أصيبعة[23]، وكتاب: صبح الأعشى في كتابة الإنشا لأبو العباس أحمد القلقشندي، وكتاب: "المناظير لابن الهيثم، وكتاب: العلوم عند العرب لقدري حافظ طوقان[24]،وغيرها من المراجع العربية.

إضافة لهذا فقد مزجت زيغريد هونكه المصادر والمراجع العربية مع الأجنبية، كما لم تهمِل منها المترجمة إلى العربية، وهذه التّركيبة من المصادر والمراجع والتنوّع فيها تحيلنا إلى مقدرة زيغريد هونكه وكفاءتها العلمية، كما يحيلنا أيضا إلى شمولية وتعمّق الباحثة في الوقت نفسه.

الخاتمة:

على أيّة حال استطاعت المستشرقة **زيغريد هونكه** بكلّ استحقاق أن توظّف مناهجها العلمية كالمنهج المقارن الذي كان له تأثير كبير في مقاربة الحقائق العلمية والمنهج التاريخي باستتباع مراحل التطورات الحضارية ثم تقرير أفكارها بما دمجته من مرجعيات علمية، وآثار، ومخطوطات، وغيرها حتى تُعْطِيَ للعرب والمسلمين صورتهم الحقيقية.

هوامش البحث:

---

[1]/نقلا عن:هاني محمّد حامد محمّد،ألف معلومة عن الاستشراق والمستشرقين ومخططاتهم في العالم الإسلامي،ص50.

[2]/ينظر :ول ديوارنت،دروس التاريخ،دار سعاد،الكويت،ط01 ،1993م،ص08.

[*]للتوسع حول المنهج الإسقاطي لدى المستشرقين،ينظر :شوقي أبو خليل،الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشّرين،دار الفكر المعاصر،
بيروت،لبنان،ط1، 1995م.

[3]/نقلا عن محمد ثابت،المستشرقون وتشويه الحقائق التاريخية(مقال من مجلة الأمة)،قطر،1402هـ،دون عدد،ص55.

[4]/عاطف علي،المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية،مؤسسة مجد للنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط2006،1م،ص132.

[5]/ينظر :زيغريد هونكه،شمس الله تشرق على الغرب،ص18.

[6]/ينظر :المصدر نفسه،ص62.

[7]/المصدر نفسه،ص130.

[8]/زيغريد هونكه،شمس الله تشرق على الغرب،ص131.

[9]/المصدر نفسه،ص143.

[*]جعلت المستشرقة:زيغريد هونكه فصلا بأكمله حول تخلّف الطب في أوروبا،ومباشرة بعد هذا الفصل أوردت في الفصل الموالي:تقدّم الطب

في العالم الإسلامي؛مما يشير إلى نهج زيغريد هونكه طريقة المقارنة بالفصول.

(*) سورةالبقرة:256.

[10]/ينظر :زيغريد هونكه،شمس العرب تسطع على الغرب،ص364،وينظر أيضا:زيغريد هونكه،الله ليس كمثله شيء(الكشف عن ألف فرية

وفرية عن العرب)،ترجمةوتعليق:محمّد عوني عبد الرّؤوف،مرا:ناهد الدّيب وإيمان السّعيد جلال،المركز القومي للترجمة والنشر ،القاهرة،مصر ،ط1،

2010م،ص81.

(**) لا نريـد من هذا أن نبرز موقف هونكه من القرآن الكريم؛ذلك أننا سبق وذكرنا أن القرآن لا يندرج ضمن إطار التراث العربي الإسلامي،

لكن نريد من ذلك أن نوضّح تأثر هونكه بهذا الدين من خلال ما جاء من دراساتها،وأغلب الظن أن دراستها لمقارنة الأديان جعل منها

تتعرّف على أبعاد الدين الإسلامي؛مما أدى إلى تأثّرها بهذا الدّين السّمح الذي يدعو إلى طريق الحق.

[11]/زيغريد هونكه،شمس الله تشرق على الغرب،ص277.

[12]/زيغريد هونكه،شمس الله تشرق على الغرب،ص 279.

[13]/نقلا عن:زيغريد هونكه،التوجه الأوروبي إلى العرب والإسلام،ص276.

(*) سورة العلق،(1-5).

(**)اعتمدت هونكه بعض الأحاديث غير الصحيحة منها:"اُطْلُبُوا العِلْمَ مِنَ المَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ"،كما اعتمدت على الضعيف من الأحاديث

منها:"لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِئَةُ رَكْعَةٍ"،وفي هذا ينظر الموقع:

https//islamqa.info/ar/163228

[14] /زيغريد هونكه،الله ليس كمثله شيء،ص33.

[15]/زيغريد هونكه،الله ليس كذلك،ص07، 08.

[16]/زيغريد هونكه،الله ليس كمثله شيء،ص81-84.

[17] /المصدر نفسه،ص149.

[18]/زيغريد هونكه،الله ليس كذلك،ص101.

[19]/ ينظر :محمود حمدي زقزوق،الإسلام والاستشراق،مج2،ص534.

[20]/ينظر :مالك بن نبي،إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث،دار الرّشاد،بيروت،لبنان،ط1، 1969م،ص17.

[21]/المرجع نفسه،ص17 ،18.

(*)معظم النماذج تدل على تعمق زيغريد هونكه،وقد اخترنا هذا الأنموذج لما له من صورة تقريبية من خلال تتبّع هونكه لأصل المصطلحات.

[22]/زيغريد هونكه،شمس العرب تسطع على الغرب،ص552-555.

[23]/ينظر :زيغريد هونكه،شمس العرب تسطع على الغرب،178-342.

[24]/ينظر :المصدر نفسه،ص 196-199.